كتابةٌ على الرِّمال

محمد فهمي سند

كان قلبي
يطوف مع ابن زياد،
ويعدو على شاطئ المتوسط،
يصرخ في التّيه،
«تلك الأنامل ترفض حنّاءها،
والسنابك تكتب فوق الرمال الأناشيد»!
وأنا عند خيل الأحبّة،
أرقب عودتها،
وأقصُّ الحكايات عن عشبها البكر،
حتى تعود إلى المتوسط زرقتُه،
وإلى ابن زياد،
رهافةُ حَرْبَته،
وتؤذّن قرطبة العربيّة،
في موعد لبلادي...!
ساوَمَتْني على قطرة الثلج،
غرناطة المستحمّة في عسجد الحرف،
قالت: رويدك، لا تبتئسْ،
فالرّجال استعادوا اللّحى والشوارب
عاد قلبي يلملم خطوته،
ويفتح بوّابة القدس،
ها أنت مجلوّة يا بلادي،
لمئذنةٍ تتلألأ في القلب،
تعبر قرطبة الأموية،
ترسم دائرة بالحجارة،
منفتحاً لدماء البوادي...!

***

أنتَ متّهمٌ بالبكاء،
فهل أقبل الليل،
يجتثّ عشب الحقول،
ويشرب نهر تشبّثنا بالعمومة؟
أم أنّ راياتنا قذفتها الرياح إلى الرمل؟
ليس سوى أن تكفكف دمعك،
أن تغرس القمح بين الخرائب...!
هذه القدس،
تطلب عشاقها،
وبنو الأحمر انطلقوا في المتاهات،
يستبدلون الع ة والسيف،
والكنية العربيّة،
بالكأس والقات والنفط،
والحلّة الأجنبية

***

إنّ بغداد ترحل عن نخلها،
وتودّع دجلة والأهل،
تبحث عن بقعةٍ في السماء،
لتنفض عنها غبار العجائب...!
والفرات ارتدى حلّةً للمغير وللعاصفة
واكتفى بالوجوه التي أصبحت لا ترى
والثّرى يتناوم عن بذرة ابن الوليد،
ويبحث عن جبّة وقلنسوة،
ليزيد، ليشرب كأس الدماء الأخيرة...!

***

ظلّ قلبي يدور مع الأرض دورتها،
وينادي على ابن زياد،
ليصنع أندلس الزمن المستحيل،
عسى أن تعود إلى الأرض،
خضرتُها،
وإلى النخل قامتُه،
وإلى النهر موجته العربية.
أنّ خيل الأحبّة تصهل،
ليس سوى أن تقوم الفوارس
فالفرات ودجلة والقدس
في الأسر يشكون،
لكنّنَا لا نقول سوى:
إننا سنحارب
بعد أن أدمن الناس،
دمع المصائب
فهل من مطالب؟!
يسرج الخيل،
يصرخ في وجهها المتأهب،
ألاّ تفرّ إلى الخلف،
أو تحمل الوهم في طرقات الغياهب...!

القاهرة